مقابلة

جورج شاهين

الغزّ: إذا لم تمنع إسرائيل من إجتياح رفح أهمية "النظام العربي" لن تعُد تنفع

على هامش الجهود التي تبذلها الخماسية الدولية من اجل لبنان، طرحت الاسئلة عما يمكن ان يقوم به "النظام العربي" في ظل الازمات المتعددة من قطاع غزة الى جنوب لبنان، ومنهما الى اليمن وسوريا والعراق. كما وجب البحث عن حجم العلاقات التي ربطت لبنان بهذا العالم في المحطات الكبرى التي عبرها حتى اليوم

في غياب الجامعة العربية، هل من امل في قيام سياسات جماعية يمكن ان تكون بديلا منها؟ على هذه الخلفيات تحدثت "الامن العام" الى المتخصص في الشؤون العربية الكاتب السياسي احمد الغز الذي اجرى قراءة شكلت جردة لشكل المبادرات العربية ومضمونها منذ الاستقلال حتى اليوم.

■ كيف تقرأ الدور العربي في لبنان؟

□ عميقة هي علاقة لبنان بمحيطه العربي وعلاقة المحيط العربي بلبنان. لبنان احد صانعي هذه الهوية واحد المساهمين الاساسيين في تطورها وتأثيرها وتقدمها منذ العام 1731 تاريخ تأسيس اول مطبعة عربية وطبع اول كتاب شكل ملامح للشخصية العربية لأن الانسان يسكن لغته. وهي الاطار الجامع للشعوب والامم والاعراف والحضارات، فعندما نتحدث عن العرب فلسبب واحد وهو انهم ناطقون بالعربية كما الحديث عن الفرنكوفونية او الانكلوساكسونية.

■ كيف تقرأ العلاقة بين لبنان والمؤسسات العربية، عندما طلب دعمها وعندما قادت اليه التطورات؟

□ لبنان دولة مؤسسة لجامعة الدول العربية عندما شارك في 7 تشرين الاول 1944 في حفل توقيع "اعلان الاسكندرية" الذي اسس لها، قبل ان يحتفل باستقلاله الاول في 22 منه. وجاءت محطات عدة تجلت فيها العلاقة مع هذه المنظومة. وتحول لبنان ساحة انعكست عليها كل ازمات دولها بعدما استضافت نخبة احزابها واعلامها، ما اعتبر من الخصائص اللبنانية. وقد تظهر ذلك ايام الرئيس جمال عبد الناصر اذ لم يكن هناك اعلام عربي سوى الاعلام اللبناني. فبعد احداث 1956 واعلان دولة الوحدة في سوريا عام 1958 صار التداخل مباشرا في السياسة اللبنانية وصولا الى اتفاق القاهرة في تشرين الثاني من العام 1969 الذي وضع المقاومة الفلسطينية في خط مواز للدولة، لتصبح الجبهة اللبنانية الوحيدة الساخنة مع اسرائيل بعد نكسة 1967.

■ حضرت قضية لبنان في اكثر من مؤتمر وقمة عربية منذ ان شكلت قوات الردع العربية التي تحولت سورية كيف يمكن تقويم المرحلة؟

□ ما حصل كان معاكسا لبعض ما هو متداول، قبل تشكيل هذه القوات دخل الجيش السوري لبنان وبلغ المديرج في 6 حزيران 1967، قبل ان تلاقيها قمة الرياض في ايلول وتجعل منها "قوات ردع عربية". وما يمكن قوله ان هذه القمة غطت الوجود السوري وعينت لها قائدا لبنانيا هو اللواء سامي الخطيب. وقد تلت هذه المحطة محطة اخرى بالغة الدقة والاهمية تجلت بما حصل بعد اتفاقية "كامب ديفيد" عام 1978 وخروج مصر من الجامعة العربية التي انتقلت من القاهرة الى تونس، وجاء الاجتياح الاسرائيلي الاول عام 1978 والتقاطعات التي رافقته، وكان اول امتحان فعلي لمعنى خروج مصر من المجموعة العربية الى ان صدر القرار 425. بالتالي لم يكن صحيحا القول ان الدور العربي في لبنان انحصر بالوجود السوري. لا يمكن ان نتجاهل بعد العام 1978 الحضور العراقي الفاعل في السياسة والاعلام، وهو امر لم يكن جديدا فصدام حسين هو من ورث الحضور الناصري في العالم العربي بعد سبعينات القرن الماضي. وبقي الوضع على ما هو عليه حتى عملية 13 تشرين عام 1990 فخرج من لبنان كل من رئيس الحكومة الانتقالية العماد ميشال عون وصدام حسين ومعهما الرئيس الفرنسي فرنسوا ميتران. وبقي الوجود السوري الى جانب الوجود الفلسطيني الذي كان اكثر خطورة منه حتى العام 1982 عندما اخرجت منظمة التحرير من بيروت وحالت الظروف الدولية دون ان تقطع القوات الاسرائيلية طريق الشام في ظل الموقف الروسي المتصلب الذي اعتبر الوجود السوري في البقاع على انه جزء من الاتفاق الاستراتيجي الذي حكم المرحلة منذ العام 1976، وهو ما حال دون تشكيل صيغة جديدة للمنطقة كما كان يريدها كل من وزير خارجية اميركا الكسندر هيغ ووزير الدفاع الاسرائيلي انذاك اريبل شارون.

■ تعددت المؤتمرات من اجل لبنان، من جنيف ولوزان حتى الطائف كيف تعاطى العرب معها؟

□ مع مؤتمري جنيف ولوزان عامي 1983 و1984 دخلنا مرحلة جديدة. كانت هناك مبادرة سعودية للملك فهد اطلقها من قمة تونس، وشاركت المملكة في المؤتمرين الى جانب سوريا التي كانت تحتاج الى رافعة في لبنان وسوريا وهذا ما شكلته وظيفتها في لبنان وصولا الى الطائف. وهو ما ترجمه حضور الرئيس الشهيد رفيق الحريري فيها من ضمن الوفد السعودي. نحن لم نصل الى الطائف الا بعد تحولات عربية كبرى قادت اليها قمة الرباط وتشكيل اللجنة العربية الرباعية الملكية - الرئاسية الخاصة بلبنان التي ضمت ملكي السعودية والمغرب ورئيس الجزائر وامير الكويت والامين العام للجامعة العربية، وحضر لبنان في اروقة الاليزيه والبيت الابيض. وعندها ظهرت معادلة مهمة قالت ان ملف لبنان لم يكن يوما ملف وزراء او ملف سفراء. وان لبنان لم ولن يخرج من ازماته ما لم يعود الى كونه ملف ملوك ورؤساء وامراء. عندما وصل الملف الى هذه المرتبة بادرت اللجنة التي عرفت بلجنة الاخضر الابراهيمي الى الدعوة الى مؤتمر الطائف وكانت الولايات المتحدة حاضرة هناك قبل وصول المدعوين اللبنانيين اليها. عليه، فان الطائف شكل محطة ذات افق بعيد المدى، الا اننا وبعد ان وقعنا الاتفاق في 5 تشرين الثاني قبل خمسة او ستة ايام على سقوط جدار برلين، فكان التحول الكبير في السياسة الدولية اثر اجتياح صدام حسين للكويت واطلاق عملية "عاصفة الصحراء" التي شاركت فيها "دول اعلان دمشق" بقيادة واشنطن. بعدها حضر ملف لبنان بين وزير الخارجية الاميركية جون كيري ونظيره السوري عبد الحليم خدام في البقاع الذي طالبه بالانتخابات النيابية المبكرة وحل المجلس النيابي واعادة تشكيل السلطة على قواعد جديدة نسفت ما اقر في اتفاق الطائف. وكان ما كان فرفع عدد اعضاء المجلس النيابي من 99 الى 108 نواب بعد تعيين بدلاء المتوفين وتساوى المسلمون بالمسيحيين مناصفة قبل ان يرفع العدد لاحقا الى 128 ونظمت الانتخابات النيابية على اساس ان للبنان نظاما جمهوريا برلمانيا. وتحول المجلس النيابي الى مصدر للسلطة يتحكم بانتخاب رئيس الجمهورية الذي عليه ان يجري استشارات نيابية ملزمة لتسمية رئيس الحكومة ومنح الثقة وسحبها.

الكاتب السياسي احمد الغز.

> لبنان احد صانعي الهوية العربية واحد المساهمين الاساسيين في تطورها وتأثيرها

■ عبرنا محطات عدة رافقت انسحاب اسرائيل عام 2000 وحرب تموز 2006 وصولا الى اليوم كيف كانت العلاقات مع العرب؟

□ كان من المفروض ان تنتهي ازمة لبنان مع خروج منظمة التحرير عام 1982 واقفال ملف الحدود. وتجدد النزاع مع سقوط اتفاق 17 ايار الذي حال دون انسحاب اسرائيل 18 عاما. ولما لم يعد الشرق الاوسط بصيغته القديمة اصبح لبنان محتلا، وبدلا من السعي الى تحرير فلسطين انطلاقا من جنوب لبنان اصبحنا في حاجة الى تحرير لبنان من هذا الاحتلال. بعدها تغيرت السياسات لنعيش حالة غير مسبوقة رافقت جريمة اغتيال الرئيس رفيق الحريري وما تركته من ترددات. وتدحرجت الامور السلبية من بغداد الى دمشق وغزة وعدنا للبحث في كيفية اعادة الاعمار والنهوض في مجتمعات تفككت و تدمرت نتيجة نزاع اهلي مسلح. في ظل التطورات الاخيرة وصولا الى حرب غزة والجنوب، يقلقنا غياب الجامعة العربية عن لبنان والمسرح الاوسع، لنأمل في ان يكون البديل من الحراك الذي تشهده الرياض من مسلسل القمم العربية والاسلامية الى اللقاء السداسي الذي جمع مؤخرا كلا من وزراء خارجية السعودية ومصر والاردن والامارات وقطر ومعها منظمة التحرير الفلسطينية في 8 شباط الماضي. وهو اجتماع مفصلي لبلورة سياسات عربية في اتجاه تجديد "الفكرة العربية" حول كيفية احتواء ازمة غزة والانتقال من مجتمع النزاع الى مجتمع الانتظام. لذلك، اتصور ان ما تعيشه رفح اليوم يشبه المرحلة التي اجتاح فيها العراق الكويت في نهاية القرن الماضي. وان لم تمنع اسرائيل من اجتياح رفح ستنتفي قيمة واهمية "النظام العربي" ولم يعد السؤال عنه ينفع. اما ان يستعيد اعتباره بمنع حصول هذه المأساة، ذلك انه من المهم جدا ان نستفيد من التوصيف الذي اعطاه كل من الرئيس الاميركي جو بايدن ووزير خارجيته انتوني بلينكن للوضع هناك، بتوقعهما "مذبحة عالمية" بكل ما للكلمة من معنى نتيجة اي عملية عسكرية اسرائيلية شبيهة بسابقاتها بوجود مليون و400 الف نازح في 60 كيلومترا مربعا وان رميت فيها قنبلة ماء غازية ستتسبب باصابة 100 انسان. ليس علينا ان ننسى انه وما بعد مثل هذه الجريمة قد نعيش مأساة مشابهة في الضفة الغربية. فاسرائيل التي لم تعر قرارات القمة العربية - الاسلامية اي اهمية قد ترضخ ان سمعت كلاما عن تجميد او تعليق العمل باتفاقيات التطبيع لتدخل المنطقة في عملية انتقالية تؤدي الى مسألة الدولتين وادماج اسرائيل في دول المنطقة. لا بد من الاعتراف بأن كل هذه التطورات ترخي بثقلها على ساحتنا الداخلية انطلاقا مما يجري في جنوب لبنان من حرب ايا تكن تسميتها. فمكامن الخطر في فقدان النخبة المجتمعية والسياسية في لبنان. ولا يجب ان ننسى ان عبد الناصر منع دخول صحيفة "النهار" الى مصر، لكنه كان يريدها يوميا ليقرأ مقال ميشال ابو جودة، فأي مقال يمكننا قراءته اليوم. ليس لدينا اليوم نخبة كما كانت العام 48، وهل يعقل اليوم اننا انتخبنا مجلسا نيابيا منذ عامين ولم يتمكن من تشكيل حكومة ولم ينتخب رئيسا للجمهورية ولا اصدر القوانين الاصلاحية. وهو ما يدل اننا في انهيار تام ونعيش في مجتمع مفكك ومؤسسات متحللة وما نحتاجه نخبة تجيب عن سؤال اي لبنان نريد؟ فلنتذكر دائما انه وقبل 14 شباط 2005 كنا نحتاج الى من يحجز لنا كرسي في وسط بيروت الذي تحول اليوم الى صحراء.